قول الشيعة في الصحابة:

أمّا الصحيح من قول الشيعة في الصحابة فليس هو قولٌ واحد، بل هو مختلف باختلاف مراتب الصحابة ومنازلهم، فليس كلّ الصحابة سواء، فمنهم من أثنى عليه الله تعالى في كتابه، ورفع بعضهم فوق بعض درجاتٍ، كما أنّب بعضاً، ووصف آخرين بالنفاق، وأنبأ بردّةٍ وانحراف ستحصل عند بعضهم بعد موت النبيّ ﷺ.

---

(١) الترمذي ٥: ٦٣٣ / ٣٧١٣، ابن ماجة ١: ٤٣ / ١٦٦، ٤٥ / ١٢١، وفي مسند أحمد له ١٦ طريقاً، وفي خصائص النسائي ١٩ طريقاً.

(٢) الترمذي ٥: ٦٩٩ / ٣٨٧٠، ابن ماجة ١: ٥٢ / ١٤٥، مسند أحمد ٢: ٤٤٢، صحيح ابن حبان ٩: ٦١ / ٦٩٣٨، مصابيح السُنّة للبغوي ٤: ١٩٠.

(٣) مسند أحمد ٦: ٣٢٣، الخصائص للنسائي: ١٧، المستدرك ٣: ١٢١ ـ ١٢٢ وصحّحه، البداية والنهاية ٧: ٣٦٧.

وبمثل هذا جاءت السُنّة النبويّة مبيّنة ومفصّلةً.

فلا ريب إذن أن يختلف الناس باختلاف منازلهم، وليس مَن وبّخه القرآن كمن أثنى عليه، ولا من طرده الرسول كمن أمر بحبّه، ولا من قال فيه «إنّه مني وأنا منه» كمن برئ من عمله فقال: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع [فلان]».

ولا ريب أيضاً أنّ اعتبار الجميع في العدالة على حدٍّ سواء، هو ردّ لصريح القرآن وللسُنّة الثابتة، وهل تجد أحداً يؤمن بالله ورسوله يساوي في العدالة بين رجلين قال النبيّ ﷺ في أحدهما: «اللّهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل» وقال في الآخر: «لا أشبع الله بطنه»؟!.

وكلّ ما في الأمر أنّ كلام الشيعة كان صريحاً في أنّ الصحبة لا تكون عاصمة لصاحبها من الخطأ، فمن الصحابة من يكون من الصدّيقين، ومنهم الّذين تشتاق إليهم الجنّة ويباهي الله بهم ملائكته، ومنهم من يكون في منازل أصحاب اليمين، ومنهم دون ذلك، ومنهم من قد ينقلب على عقبيه ويعود مرتدّاً عن الإسلام.

وهذا ما آمن به ابن تيميّة أيضاً حين رأى تفضيل بعض الصحابة على بعض، وحين جعل عبدالله بن سعد بن أبي سرح مثالاً للمرتدّين!.

قال ابن تيميّة وهو يهاجم الفلاسفة: هم لما فيهم من العلم يشبهون عبدالله بن أبي سرح الذي كان كاتب الوحي، فارتدّ ولحق بالمشركين، فأهدر النبيّ دمه عام الفتح[1].

فهذا كان صحابيّاً وكان كاتباً للوحي عند الرسول، فلم يمنعه ذلك من أن يرتدّ مشركاً ويلحق بالمشركين ولمّا يزل، الرسول حيّاً والوحي يتنزّل، فهل يمتنع

---

(١) نقض المنطق: ٤٦.

أن يحدث مثل هذا أو أقلّ منه في مراتب العصيان بعد وفاة الرسول ﷺ ؟!.

وهذا المعنى هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

وذكَره النبيّ ﷺ في حديث الحوض المتّفق عليه إذ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، ولأُنازَعَنّ أقواماً ثمّ لأُغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ، أصحابي! فيقال: إنّك لا تدري ما أحدَثوا بعدك»[2].

وفي حديث آخر: «فأقول: سُحقاً سُحقاً»[3].

كما أشار إليه النبيّ ﷺ في جوابه لأبي بكر، لمّا قال النبيّ لشهداء أُحد:

«هؤلاء أشهد عليهم» فقال أبو بكر: ألسنا بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا!.

فقال له النبيّ ﷺ: «بلى، ولكن لا أدري ما تُحدِثونَ بعدي»[4]!.

فإذا تمّ هذا، وإذا كان قول الشيعة في فئتين من الصحابة معروفاً، وهي: الفئة التي عُرفت بالولاء لأهل البيت وحبّهم، والفئة التي نصبت لهم العداء وحاربتهم وتتبّعت أنصارهم ومحبّيهم بالأذى والتقتيل، فما هو قولهم في سائر الصحابة الّذين لم يظهر منهم هذا ولا ذاك ظهوراً واضحاً؟.

---

(١) آل عمران ٣: ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٣/٨٣ ـ الفتن، صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٧/١٧٩٦ حديث الحوض، مسند أحمد ٣: ١٤٠، ٢٨١ وغيرها.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ٤٣٠٦/١٤٣٩ باب ذكر الحوض، مسند أحمد ٦: ٢٩٧، مصابيح السُنّة ٣: ٥٣٧/ ٤٣١٥.

(٤) الموطّأ لمالك بن أنس ٢: ٣٢/٤٦٢ كتاب الجهاد ـ باب الشهداء في سبيل الله.

لم يكن موقف الشيعة من هؤلاء غامضاً ولا متزلزلاً، وقد عرّفه الإمام محمّد حسين آل كاشف الغطاء بقوله: «لا أقول إنّ الآخرين من الصحابة ـ وهم الأكثر الّذين لم يتّسموا بسمة الولاء لأهل البيت ـ قد خالفوا النبيّ ولم يأخذوا بإرشاده، كلّا ومعاذ الله أن يُظنّ فيهم ذلك وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذٍ، ولكن لعلّ تلك الكلمات لم يسمعها كلّهم، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها، وصحابة النبيّ الكرام أسمى من أن تُحلّق إلى أوج مقامهم بُغاث الأوهام»[1].

ويُضيف آل كاشف الغطاء بعد أن يذكر جملةً ممّا وقع بحقّ أهل البيت في عهود الخلافة المتتابعة، فيقول: «لا يذهبنّ عنك أنّه ليس معنى هذا أنّا نريد أن ننكر ما لأُولئك الخلفاء من الحسنات وبعض الخدمات للإسلام التي لا يجحدها إلّا مكابر، ولسنا بحمد الله من المكابرين، ولا سبّابين ولا شتّامين، بل ممّن يشكر الحسنة ويغضي عن السيّئة، ونقول: تلك أُمّةٌ قد خَلَتْ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وحسابهم على الله، فإن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعدله»[2].

هذا من حيث التفصيل، أمّا الوصف الإجمالي للصحابة فقد أوجزه السيّد الصدر[3] بعبارة رائعة، فقال: إنّ الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أُمّة رساليّة، حتّى أنّ تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذي أنشأه الرسول القائد[4].

فالانصاف يستدعي أن نقول: إنّ الشيخ ابن تيميّة لم يستطع فيما كتب أن

---

(١) أصل الشيعة وأُصولها: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) أصل الشيعة وأُصولها: ٩٤.

(٣) السيّد محمّد باقر الصدر: مجتهد ومرجع شيعيّ شهير؛ ولد سنة ١٩٣٣ م. له مؤلّفات عديدة لعلّ أكثرها انتشاراً (اقتصادنا) و (فلسفتنا) و (البنك اللاربوي) وقد جُمعت مؤلّفاته في ١٥ مجلّداً. عاش مجاهداً داعياً إلى الإصلاح وإلى ازاحة الانظمة اللادينية وإقامة النظام الإسلامي، وقُتل شهيداً في السجن ببغداد سنة ١٩٨٠ م، وله من العمر ٤٧ سنة.

(٤) بحث حول الولاية: ٤٨ ـ المجموعة الكاملة ج ١١.

يمتدح الصحابة بأكثر من هذا الذي قاله فيهم الزعيم الشيعيّ الكبير السيّد الصدر.